إجهدي بالدعاء الآخر...

قصة بقلم م. زيتون

[الى الذين يعيشون في الخيام ، الذين قدموا من ارض عربية ، والذين ينهضون كل يوم على صدى جرس كنيسة مجاورة . الذين يضغـــون القربان المقدس] .

البارحة يامّ كنت في صلاة الاحد .. اليوم هو الاثنين يـا ام . ولكن البارحة كان أجدى للدعاء.. ان الله يضحك .. ماذا كان دعاؤك يا أم في يوم الاحد .؟ – «الخبز . والسبـــانخ والحليب والدبس وزيت الزيتون يا الله ... وولدي الصغير يالله ... وكذلك ارزق زوجي حامد الذي يعمل بالمدينة يا أبت ..»

ورجعت يا أم مطرقة خجولة صفراء .. ماذا اخجلك يا أم؟ انك لم تفضحي المنزل كثيراً ... ومع ذلك فـــانه هو الله، وليس من أحد يستطيع ان يسمع ماذا ارسلت له من امانيك.. لقد نسيت أن تطلبي ملحاً للخبز ... زيت زيتون ؟ أي طمع هذا يا أم .. هذا الغالي ؟ لقد استثمرت براءة الله يا أمي ..

ماذا دهاك يا أمي ..؟ الزيت والحليب .. وعصير العنب .. والسيارة . أية براءة مضحكة هذه ايتها العجوز الطيبة ؟

وعدت أيتها الام الطيبة كالظـــافرة ... كنت تمضغين الكلمات التي رددتها أمام الله – ذلك القابع في ناحية ما في اطراف الكنيسة . . كنت تمضغينها كالحالمة بالخبز الجوهري، الخبز الذي يكفينا يومنا ...

لا تغضبي يا أم ، لقد سألته كل شيء، حقاً انك تفكرين. هل نسيت أن تذكري له أمانيك الاخرى ؟.. ملح للطعام يا أم .. وبقرة حلوب .. لقد فاتك البعض: ان الخيرات كثيرة أيتها العجوز الطيبـة ... والآحاد ... والاحـــاد كثيرة ايضاً .!

وأتيت بقطعة خبز مكعبة .. وانتظرت ان نلتهم ذراتها مع التسابيح الطويلة الرحمانية «اعطنا خبزنا الجوهري.. واترك لنا ما علينا .. أيها المسيح الرب» ..

هذه الخبزة يا أمي هي التي تحمل الى قلوب العـــائلة الطيبة الثقة بوعود الالـه ... لقد أكلنا جسد المسيح كي يعطينا الخبز الجوهري .. ويترك لنا ما علينا .. وتكلمنا كثيراً في انفسنا.. ووصفنا الاماني بألف صورة . أية صورة قد منحناها للخبز يا أمي ؟ لقد أصبح الرغيف قطعة من نور، وولدك الصغير، لماذا يختلف عن أبناء الناس ؟

لقد بحثت عنك يا أم كثيراً ، لانني لم استطع ان أقاوم الجوع المقيت اكثر من الليـــل بطوله . وعرفت انك في الكنيسة كعادتك .. لماذا هددتني بانك ستغضبين علي ..؟ هل أخطأت في حضرة المصلين أيتها الأم الطيبة ..؟ انني لم أقل شيئاً في الكنيسة يثير غضبك، لقد قلت لك انني أريد أن آكل ولم يستمعني ، ولا حتى ذلك المصلي المجاور لنا ... لقد همست همساً يا أم، هل أخطأت..؟ لم أكن أفهم أن ذلك ممنوع في حضرة الله .؟

ونهرتني ... وخرجت ، ألم أطع امرك ؟ وعـدت مرة أخرى ، لانني كنت جائعاً للغاية ، وكانت الصلاة طويلة ذلك اليوم . والدعاء ، لقد سئمت دعـــاء ذلك العجوز .. عمي.. وأحسست أن دعاءك كان اصدق من أي دعاء آخر . كان مركزاً يا أمي وصادقاً أبداً ، كما لو أنني أتكلم عما أريد.. لكن عمي ، لقد كرهت دعاءه بقدر الخليط الغريب الذي جاء – الرحمة ورضاء الوالدين والاصدقاء والشرف مع الباذنجان والبصـل وحليب الجاموس – .. أي دعاء سمعته على لسانك يا امي .؟ هذه المطالب العادلة ، لقد انستني أنني أتيتك للمرة الثانية، وانني جائع لكل ما هو جاهز وسريع .

ورأيتك تتخطين المصلين الى ابي ، وتقبلين يده النورانية . فعرفت أن ذلك أوفق لأمانيك .. آه ايتها العجوز الطيبة ! لقد كنت تحكمين الطريق على الله ... كي يضطر ... كي يضطر أن يعطيك خبزك الجوهري ، ويترك لك ما عليك ، ما أجمل كل هذا ايتها الام الطيبة !

وعدت في ذلك الصباح مسرعاً الى خيمتنا ، ولقد سبقتك كثيراً في طريقي الى هناك . ولست أدري كم كنت مرتاحاً لكل ما طلبته من الله ! لقد تطاير الفرح من ذهني كالشرر ، ونسيت لبضع ساعات أخرى حاجتي للاكل .. اي أمـــي الطيبة .. ما هذا الذي تدركينه عن الله .. مستودعاته .. ومكان حضرته .. والطريق المؤدي الى رضاه .. ؟

أي امي الطيبة .. ! لقد خلفت لي الآمال المزهوة ، أحقاً ان الله يفي بالوعود ؟ اي امي ! هل ينبغي للاطفال ان يطلبوا

إشياء صغيره ... صغيرة للغاية .؟ لقد حدثت اخي الصغير وكذلك سميح – سميح ابن ام وليد – لقد اتفقنا ان نضرع الى الله .. ان نقول له « ايها الاب العالي .. امنحنا الذي كانت امي تطلبه » ذلك الدعاء يا امي ، كان اصدق دعاء يمكن ان نعيده على مسامع أبينا العالي .. أن نعيده دوماً .

وعندما اتيت الى الخيمة .. كان طرف منديلك يحمل الينا قطعة خبز مكعبة ، وكنت تضغطينها في راحتيك . ولقد كنت لا اعرف كل ذلك يا امي . وقلت لنا ان هذا هو القربان ، هذا « جسد المسيح » الذي يحب الناس يا أبنائي ، وقلت ان قطعة منه تكفي لان يبقى احدنا دون جوع يوماً كاملاً ...

وقسمت القربان المقدس بيننا ، وكانت حصتي – لست ادري لماذا – اصغر من غيري بقليل ... وعندما التهمتها – وكنت جائعاً منذ الليلة الماضية كما تذكرين – شعرت انها لم تحقق في فراغ معدتي رغبة ما . ولكنني سكت على ذلك – وكنت اخاف ان تغضبي علي . . وبقيت يوماً كاملاً في جوعي الصامت .

آه .. يا امي الطيبة .. اليوم هو الاثنين ، وما من سبيل يا أمي . ففي كل بقعة من جسدي يقع ألم مرير .. ألم حرمان مخدر . وما من سبيل يا امي الطيبة . ليس هناك صلاة كبرى اليوم . وليس من أمل في قبول دعاء الاطفال بمعزل عن امهاتهم ... وأنت غائبة منذ الصباح الباكر .. اين ذهبت . ؟

انني اعلم الآن صلاة اليوم .. أين سأبحث عنك ؟ لم تذهبي فيما سبق الى مكان اخر سوى الكنيسة .. ومع ذلك فقد كنت تخلفين لنا في « المعجن » قطعاً من الخبز اليابس. أما اليوم ، فليس في خيمتنا الا حيرة وتساؤل .. أيجوز انك ذهبت لتقابلي الله في مكان آخر .؟ ذكريه اذن « بالمعجن » . آه يا امي الطيبة ، انك لن تنسي ذلك مطلقاً ...

هل ستعودين حقاً يا امي ؟ انني اخاف عليك من الوحوش التي تتربص في الطريق . من سيعنى بنا بعدك ؟ من .. من ايتها الام الطيبة ؟

انني جائع الآن .. واخاف ان تتأخري كثيراً . فلقد ارتفت الشمس قبة السماء بكامل بادٍ ، واستبدت اشعتها المحرقة بكل المخلوقات ، وبعد قليل ستنحرف – حتى بأمانينا – نحو العالم الآخر . ولسوف اطير جنوناً عندما يستبد بنا الليل ...

لقد اتى الصغار الي وكلهم يسألون عنك ، وسميح ابن ام وليد ايضاً . يريدون ان ترددي الدعاء على مسامع الله ... ولكنني اشعر الان بعدم جدواه ، لست ادري لماذا .! فقط لأن الله بطيء لاستجابة . ثم اننا بحالة خطر ..

لماذا لا تظهرين الآن ... فنحن مرتبكون أيتها الام الطيبة .. هل اغراك الوحوش فذهبت .؟ وماذا نعمل نحن .. كيف يستجيب الله للاطفال بمعزل عن امهاتهم ؟ عودي يا أمي ... فها هو الليل .. الليل المخيف ، هل سنتوزع في الطرقات للبحث عنك ..؟

– « هل فهمتم ايها الاطفال ؟ كل منكم يبحث في الطريق التي أشرت » .. ما هذا الجرس .. هل هناك صلاة .. اليوم عيد ؟.. ايتها الام الطيبة لعلك تهمين بارسال دعاء آخر .؟

الجامعة السورية – كلية الحقوق

م . زيتون

يرضي جميع من الدارسين بالأقطار العربية

ظهر حديثاً

- أحدث سلسلة في الأدب العربي وتاريخه تقع في خمسة أجزاء :
العهد الجاهلي - العهد الإسلامي والأموي - العهد العباسي
العهد الأندلسي وعهد الانحطاط - عصر النهضة
- دراسات موجزة للأدب نصوصاً « وتحليلاً وتاريخاً » تنطوي على كل منهج في أدق تفاصيله ، مع نظرات مجملة على ما يجب للطالب أن يعرفه لتوسيع ثقافته وحل مشاكل امتحانات البكالوريا .
- نظرات عامة على مختلف عصور الأدب مما لا بد للطالب من الاطلاع عليه إذا شاء التوسع .
- مراجع للمطالعة ، واتجاهات للتمرن على معالجة الموضوعات في مختلف انواعها .

ثمن الجزء ٣٠٠ غ.ل

يطلب من : دار المعارف بيروت
لصاحبها أ. بدران
بناية العابد السور - ص.ب ٢٦٧٦
ومن جميع المكتبات الشهيرة في البلاد العربية